Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

العدول في اختيار المفردة القرآنية في تفسير مواهب الرحمن دراسة في السياق الدلالي

م.د. جاسم محمد عواد [1]
[1] مديرية تربية القادسية
Jasimawad555@gmail.com

الملخص. يهدف هذا البحث إلى دراسة ظاهرة العدول في اختيار المفردة القرآنية في تفسيره مواهب الرحمن. وتأتي أهمية هذه الظاهرة من كونها تكشف عن دقة التعبير القرآني في انتقاء اللفظة دون غيرها، بما ينسجم مع مقتضيات السياق الدلالي، ويؤدي وظيفة معنوية لا يمكن أن تؤديها مرادفاتها الظاهرية.اعتمد البحث على منهج تحليلي دلالي، ينطلق من رصد الموارد التي أشار إليها السيد السبزواري عند مقارنته بين الألفاظ المترادفة أو المتقاربة في المعنى، ثم تتبع أثر العدول في إبراز الفوارق الدقيقة، سواء على مستوى التوسع أو التخصيص أو الإيجاز أو الإيحاء المعنوي.وقد خلص البحث إلى أن السبزواري يرى في العدول القرآني أسلوبًا بلاغيًا مقصودًا يعبّر عن حكمة إلهية في تنويع الخطاب، ويُظهر الانسجام بين المبنى والمعنى، ويؤكد أن المفردة القرآنية محكومة بميزان دقيق يراعي المقام والوظيفة الدلالية. كما كشف البحث أن السياق عند السبزواري هو المرجع الأساس في تبرير هذا العدول، وأنه كثيرًا ما يربط بين الدقة اللغوية وبين البعد العقدي أو التربوي للنص القرآني.

Abstract. This study explores the phenomenon of lexical deviation in Qur'anic word choice as interpreted by al-Sabzawārī in Tafsīr al-Mawāhib al-Raḥmān. It highlights the precision of Qur'anic expression in selecting specific words that best suit the semantic context and convey meanings beyond apparent synonyms. Using a semantic-analytical approach, the study examines cases where al-Sabzawārī compares near-synonymous words and shows how deviation reveals subtle nuances of meaning. It concludes that he

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

regards such deviation as a deliberate rhetorical device reflecting divine wisdom and harmony between form and meaning, with context serving as the key to interpreting this linguistic precision and its theological or educational implications.

مشكلة البحث وتساؤلاته

تتمثل مشكلة البحث في أن الدرس اللغوي في تفسير مواهب الرحمن للسيد السبزواري لم يحظ بالعناية كما ينبغي ؛ إذ أغفل جهدًا متميزًا تركه أحد أعلام التفسير في القرن العشرين ، بما فيه من عناية بتلمس أثر انتقاء التعبير القرآني للمفردة ذات الدلالة اللطيفة ؛ بلحاظ السياق الذي ترد فيه ، فضلاً عن إغفال المنهج الذي تبناه السبزواري للتعبير عن رؤيته التفسيرية ، والوقوف على الآليات التي اعتمدها في إظهار مرادات النص ، ولا سيما اللغوية منها.

ومن ثم ؛ تولدت لدينا التساؤلات الآتية:

1. ما أهمية المفردة من حيث دلالتها اللغوية في أداء المعنى القرآني عند السبزواري ؟ وما دور السياق في ذلك؟
2. ما المنهج التفسيري الذي اعتمده السبزواري ؛ إذا ما لاحظنا التكوين المعرفي الفقهي والأصولي له ؟ وهل كان أثره واضحًا في تفسيره؟
3. ما المعايير اللغوية والبلاغية التي أفاد منها السبزواري في تفسير ظاعرة العدول.
4. ما الأثر الدلالي والتفسيري الذي يترتب على العدول كما يقرره السبزواري؟
5. ما أوجه التمايز من حيث معالجة هذه الظاهرة بين السبزواري وغيره من المفسرين كالطباطبائي والرازي؟

1 .المبحث الأول:المفاهيم النظرية

يُعدُّ العدول من المفاهيم الأسلوبية العميقة التي استأثرت باهتمام اللغويين والبلاغيين والمفسّرين على حدّ سواء، لما ينطوي عليه من أبعاد دلالية ونظمية تعكس مرونة اللغة وقدرتها على التعبير عن المقاصد المختلفة. وقد تعدّدت تعريفات العدول وتنوّعت اتجاهات دراسته بحسب الحقول المعرفية التي تناولته؛ فهو في اللغة ميلٌ وانصرافٌ عن جهةٍ إلى أخرى، وفي البلاغة تحوّل في النسق لتحقيق غاية معنوية أو جمالية، وفي التفسير أداة لبيان مقاصد النص القرآني ودقائقه. وتكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تجمع بين النظرة اللغوية والبلاغية والتفسيرية للعدول، مع بيان أثره في تشكيل المعنى.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

1.1. العدول في اللغة

أصل العدول في اللغة من مادّة (ع د ل)، وهي تدور على معنى الميل والانصراف عن الجهة المعتادة إلى غيرها. قال ابن فارس في المقاييس((العين والدال واللام أصلان صحيحان، لكنَّهما متقابلان كالمتضادَّين: أحدُهما يدلُّ على استواء، والآخر يدلُّ على اعوجاج...فأمّا الأصل الآخَر فيقال في الاعوجاج: عَدَل. وانعدَلَ، أي انعرَج)) (ابن فارس ، ١٩٧٢، ٤/ ٢٤٦-٢٤٧)(ابن منظور ،١٤١٣هـ). ومن ثمّ، فالعدول يتضمن معنى التحوّل والانتقال، سواء أكان حسيًّا أم معنويًّا. و لقد كان هذا الأصل اللغوي منطلقًا لمفهوم العدول في الاصطلاحات البلاغية والنحوية، إذ بقيت فيه دلالة الميل والانتقال من بناء إلى آخر لتحقيق مقصود معنوي أو بياني.

1.2. العدول في الاصطلاح

لم يبتعد مفهوم العدول في اصطلاحات أهل الفنون عما رسمه الوضع اللغوي ؛ إذ كان الميل والانصراف هو المحور الدلالي للمعنى الاصطلاحي ، وإن تمظهر بأشكال متعددة بتعدد المجالات التي تناولته.

لكن الذي يقصد إليه البحث ليس واحداً من المفاهيم البلاغية التي استأثرت بالمصطلح كما سلف القول ، بل يقصد إلى العدول الذي تصوره الفكر اللغوي المتقدم ، وهو الابدال بين الألفاظ التي يمكن لها أن تتعاور على مفهوم واحد بلحاظ المشترك المعنوي العام بينها مع غض الطرف عن الدلالة الدقيقة التي يحتملها اللفظ في أصل الوضع فضلا عن مقتضيات السياق وما تتطلبه من دقة في نضام المفردات المعبرة عن المعنى بأدق تعبير ؛ وهذا المفهوم هو ما عناه الأصمعي بتسمية الخروج عن المعهود ، بحسب ما أورده ابن جني في حديثه الذي يعبر فيه عن تأييده لهذا الرأي ؛ قال : "إنك في المبالغة لا بد أن تترك موضعا إلى موضع إما لفظا إلى لفظ أو جنسا إلى جنس ، فاللفظ كقولك : عراض فهذا قد تركت فيه لفظ عريض ، فعراض إذن أبلغ من عريض ... قال الأصمعي : الشيء إذا فاق في جنسه ، قيل له : خارجي ، وتفسير هذا ما نحن بسبيله وذلك أنه لما خرج عن معهود حاله أخرج أيضاً عن معهود لفظه ، ولذلك أيضاً إذا أريد بالفعل المبالغة في معناه أخرج عن معتاد حاله من التصرف فمنعه" (ابن جنى ، ١٣٨٥، ٤٦/٣)

1.3. العدول عند البيانيين

البيانيون هم العلماء الذين وضعوا قواعد العلوم الشرعية وما يتصل بها؛ فوضعوا لها أدواتها وآليات التفكير فيها بحسب محمد عابد الجابري (الجابري ، ٢٠٠٩ ، ١٣)

كان التراث البلاغي يطلق على مصطلح العدول الذي شاع عند المتأخرين بـ "خروج الكلامِ عَلَى خلاف مقتضى الظاهر"(طبانة ، ١٩٩٧ ، 197) . إذ تتجلى وظيفته في الكشف عن الشحنات اللغوية ذات التأثير في المتلقي ، وهو ما قصده الزمخشري (ت٥٣٨هـ) بقوله : " إن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع ، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد ، وقد تختص مواقعه بفوائد" (الزمخشري ، د.ت ، ٥٦/١) ويرى ابن الأثير (ت٦٣٠هـ) أن استعمال هذا الأسلوب دليل على مهارة المتكلم وسعة معرفته بالعربية "فلا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة" (ابن الأثير ، ١٤٢٠هـ ، ١٢/٢).

ولقد حظي هذا المفهوم بعناية كبيرة من لدن البلاغيين اللاحقين الذين أولوه عناية يشهد لها التراث البلاغي ، عنايةً تفوق ما حصل عليها في سائر المجالات ؛ حتى أمسى كأنه من اصطلاحاتهم الخاصة التي لا تجاوزهم؛ إذ درج في المجال البلاغي وتطور وتعددت أسماؤه ؛ فتارة يسمى عدولا وثانية يدعى انزياحا وثالثة يسمى انحرافا أو خرقا ، وقد كثرت هذه الاصطلاحات في الدراسات الأسلوبية التي كانت تعبر عن البلاغة العربية في ثوبها القشيب .(عبد المطلب ، 1997 ، 100)

ولم يكن للمصطلح معنى مغاير عند المفسرين والأصوليين ، بل كانوا يتكؤون على دلالته في الحقول البيانية الأخرى ، ولا سيما عند النحاة والبلاغيين .

رابعًا: السيد عبد الأعلى السبزواري ، ومكانة تفسيره

ترجمة السيد عبد الأعلى السبزواري (قدس سره)

هو السيد عبد الأعلى بن السيد علي بن عبد العالي السبزواري، من أسرة علمية معروفة بالفضل والتقوى والعلم. وقد اشتهر بلقب السبزواري نسبةً إلى مدينة سبزوار الواقعة في خراسان، إيران (السبزواري، 1981).

ولد سنة 1328هـ / 1910م تقريبًا في مدينة سبزوار بإيران. (الخوئي، 1992). عرف بعمق فكره واعتداله في الرأي، وبنزاهته العلمية، وكان من العلماء الذين جمعوا بين التحقيق الفقهي والتفسير القرآني والفكر الفلسفي (الجعفري، 2001).

خلّف السيد السبزواري آثارًا علمية كثيرة تدل على سعة علمه، أهمها:

1. مواهب الرحمن في تفسير القرآن (وهو من أشهر تفاسير القرن الرابع عشر الهجري، يتميز بالجمع بين التحليل اللغوي والدلالي والروحي).
2. مهذب الأحكام في شرح العروة الوثقى، وهو موسوعة فقهية اجتهادية موسعة.

وتظهر في مؤلفاته نزعة عقلية تأملية واضحة، مع اعتماد متوازن على النصوص الشرعية، وربط النص بالعقل ؛ ما يجعله من أبرز المفسرين الأصوليين في المدرسة الإمامية الحديثة (السبزواري، 1981).

المكانة العلمية لتفسير مواهب الرحمن

يُعَدّ تفسير مواهب الرحمن في تفسير القرآن للسيد عبد الأعلى السبزواري (1904–1993م) من أبرز التفاسير التحليلية المعاصرة في المدرسة الإمامية، لما يتميّز به من عمقٍ علميّ واتّزانٍ منهجيّ يجمع بين العقل والنقل. فقد استطاع مؤلِّفه أن يقدّم رؤية تفسيرية تجمع بين المنهج اللغوي والبياني من جهة، والمنهج الأصولي والفلسفي من جهة أخرى، في إطار يبرز التناسق الدلالي للنص القرآني. وقد نال التفسير مكانة رفيعة بين التفاسير الحديثة بوصفه حلقةً واصلةً بين الميزان في تفسير القرآن للعلامة الطباطبائي، وبين التفاسير التحليلية اللاحقة مثل تفسير وحي القرآن للسيد محمد حسين فضل الله. ويتميز السيد السبزواري بعمق العناية بدقائق الألفاظ القرآنية، وتحليل موارد العدول والاختيار اللفظي، مع توظيفٍ رصينٍ للمعطيات الأصولية في خدمة الدلالة. لذلك يُعدّ مواهب الرحمن من التفاسير التي تجمع بين القيمة العلمية والثراء اللغوي، وتشكل مرجعًا مهمًّا للباحثين في تطور المنهج التحليلي في التفسير الشيعي الحديث.

إذ يُبرز السيد عبد الأعلى السبزواري الأبعاد الدلالية الدقيقة للمفردة القرآنية، مع مقارنة بين نظائرها في السياقات المختلفة، مما يجعله من التفاسير التي تُسهم في الكشف عن ظاهرة العدول في اختيار المفردة، بوصفها أداةً من أدوات البيان القرآني.

ويعتمد السبزواري في تحليله على المنهج اللغوي التحليلي القائم على تتبّع الجذر والمعنى الاشتقاقي، ثم بيان التناسب بين الصيغة والسياق، وهو منهج قريب من المقاربة الأصولية في استنباط الدلالة. كما يظهر في تفسيره وعي بلاغيّ رفيع يتمثل في ربط البنية النحوية والاختيار اللفظي بالمعنى العقدي أو التشريعي للنص، وهو ما يُبرز وحدة المنظور بين اللغة والمعنى في الفكر التفسيري الإمامي الحديث.

وتشير الدراسات المعاصرة إلى أنّ السبزواري يمثّل اتجاهاً متميّزاً في تطويع القواعد النحوية والبلاغية لخدمة المعنى القرآني، بعيدًا عن الجمود الإعرابي، مما يجعل تفسيره من المصادر المهمة في دراسة الأساليب البيانية في النص القرآني (السبزواري، 1983؛ الحسيني، 2012؛ العاملي، 2018)

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

2 .المبحث الثاني: العدول في اختيار المفردة القرآنية في تفسير مواهب الرحمن

2.1. في بلاغة المفردة القرآنية ، والسياق

إذا كانت الآراء قد اجتمعت على بلاغة التعبير القرآني من حيثيات متعددة يراها بعضهم في تركيبه أو في علو معانيه أو سمو تشريعاته أو في نقله الاخبار المغيبات ، فإنهم اجمعوا على أن ذلك انما تحقق بآليات عده كان اظهرها قصد التعبير القرآني في اختيار المفردة الدقيقة التي تنسجم في سلك التعبير مع سائر مفردات النظم بالشكل الذي يحقق الوحدة السياقية للمفردات. ولقد دارت الآراء الأولى حول إعجاز القرآن على قطب المادة اللفظية التي تكوّن الخطاب منها ، فذلكم الرّماني ينص على أن تفوت المتكلمين في البلاغة إنما يتأتى من اختلاف الكيفية التي يصاغ اللفظ بها بحيث تقع موقعها من نفس المتلقي ، والكيفيه التي يرمي إليها بحسب وصفه هي أن تكون "احسن صوره من اللفظ" . ولم يكن ابو بكر الخطاب بعيداً عن مدار الألفاظ مع انه ذكر العوامل التي اعجزت العرب عن الإتيان بمثل القرآن ، إلا أنه إلى حيث يقول: "فتفهّم الآن واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً اصح المعاني"

والملاحظ في النص انه أراد إلى تفضيل التعبير القرآني على سائر الوان التعبير من خلال استعماله مباني التفضيل في قوله (أفصح ، أخسن ، أصح) فالأفصح تعلق بالمفردات والاحسن تعلق بالتركيب والتأليف والنظم والاصح تعلق الدلالات .

وهذه الألفاظ التفضيلية لا تعبر عن أحكام كاشفه عن زينة النظم القرآني وحسب بل هي صريحه في تأكيد عناية القرآن قصيدته في اختيار مفرداته وهو ما عناه الباقلاني في بيانه بلوغ النص التأثير في نفس المتلقي والإبانة عن الغرض الذي وضع لأجله يقول : " وإذا كان كذلك وجب ان يتخير من اللفظ ما كان اقرب إلى الدلالة على المراد وأوضح في والإبانة عن المعنى المطلوب " وتتجلى هذه الفكرة ناضجه عن القاضي عبد الجبار الذي يضع جمله من المعايير المائزة بين جيد الكلام ورؤيته ، ويرى أن " مناطق التفاوت بينها هو الابدال (الاختيار) بما يعني من العدول عند الردى إلى الفصيح وعن الفصيح إلى ما هو أفصح" (رزق ، ٢٠٠٢:٣٦) واذا ما أراد الباحث في هذا الصدد أن يعبر عن قصدية التعبير القرآني في اختيار بعض الألفاظ دون بعضها ؛ للإشارة إلى الدقة في النظر إلى المفارقات الممكنة بينها من حيث دلالتها المعجمية أو من حيث سياقها مع المتضام مع الألفاظ فإن في مقولة الجرجاني غنىً عما نقصد اليه ؛إذ يقول : "وإذ قد عرفت أن مدار أمر النظم على معاني النحو على الوجوه و الفروق التي من شأنها أن تكون فيه ،فاعلم ان الفروق والوجوه كثيره ليس لها غايه

تقف عندها ، ونهاية لا تجد لها ازدياداً بعدها .ثم اعلم ان ليست المزيه بواجبة لها في نفسها ومن حيث هي على الإطلاق ولكن تعرض بسبب المعاني والاغراض التي يوضع لها الكلام ، ثم بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها من بعض" (الجرجاني، ٢٠٠١ ، ٦٤)

ومن ثم يتجلى دور السياق في تحديد دلالة المفردة بالدقة التي تناسب ما يجاورها من مفردات وهو عين ما عبر عنه الجرجاني بقوله : "وجملة الأمر أنا لا توجب الفصاحة للفظة مقطوعه مرفوعة من الكلام الذي هي فيه ؛ ولكن نوجبها لها موصولة بغيرها ، ومعلقاً معناها بمعنى ما يليها"(الجرجاني ، 2001 ، 308-309)

إن حاصل جمع المفردة الدقيقة في السياق المناسب هو ما عبّر عنه الدكتور محمد عبد الله دراز بـ حسن الاختيار "قد يعلو بالكلام حتى يسترعي سمعك ، ويثلج صدرك ، ويملك قلبك. وسوء الاختيار في شيء من ذلك قد ينزل به حتى تمجه أذنك ، وتغشى منه نفسك ، وينفر منه طبعك"(دراز ، 1427 ، 91)

فالسياق القرآني ، بهذا الوصف ، هو جملة ألفاظه في ترتيبها الخاص وأن أي تغيير في اللفظ أو في الترتيب يُخرج الدلالة عن المراد

2.2. دور المفردة القرآنية في التفسير

عد الاشتغال في تتبع معاني المفردة القرآنية أو البحث في مفردات القرآن لوناً من الوان التفسير ، الذي يعبر عنه بالتفسير المفرداتي ؛ لما يشكله من مؤشرات توجيهيه لحركة النص القرآني ؛ فالوقوف على دلالة المفردة القرآنية واحده من أهم الخطوات الاولية في الكشف عن مرادفات النص القرآني .(الحيدري ،٢٠١١ ، ج ١ / ١٥١-١٥٢)

ولا يخفى ما للمفردة من أهمية في البحث اللغوي ، منذ أدرك الأوائل ضرورة ضبط العربية ؛ فبدأ العمل المعجمي ؛ أخذًا من أفواه العرب ، ونقلًا عن اللغويين ، وتتعاظم هذه الأهمية إذا ما ارتبطت بالقرآن الكريم ؛ لمكان إعجازه ، ولأن الألفاظ هي اللبنات الأوَل في بنائه اللفظي الكاشف عن مراداته المعنوية فإن "أول ما يحتاج أن يُشتَغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية ، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة ، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه ، كتحصيل اللبن في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه ، وليس ذلك نافعًا في علم القرآن فقط ، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع ، فألفاظه القرآن هي لُبُّ كلام العرب وزبدته

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

وكرائمه وواسطته وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم ، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم" (الأصفهاني ، ١٤٢٧ ، ٥٤–٥٥)

إلا أن بعض مفردات العربية تتوارد في حقل دلالي واحد ، ولا تخرج مفردة عن حقلها الدلالي إلى آخر إلا بمسوغ أسلوبي يتيح لها التداول في سياقات لفظيةٍ جديدة . على أن الناظر في أمر هذا الاستعمال لا تغيب عنه أسباب هذه الهجرة الدلالية للفظ ؛ لأن لسياق النص كاشفية عن ذلك بما يتضمنه من قرائن.

إن ما يرمي إليه البحث ليست هذه التبادلات في الحقول الدلالية المختلفة بل يقصد إلى تعاور بعض الألفاظ في الحقل الدلالي نفسه ؛ لوجود مشابهة بينها تجعل من تواردها على المعنى نفسه مسوغًا لهذا الاستعمال ؛ ما أغرى بعض اللغويين بجمع هذه الألفاظ ودراستها تحت مسمى الترادف.

وإن كان كثير منهم يتحاشى الإقرار بهذه المقالة التي تفضي إلى التطابق بين الألفاظ مع دلالتها على المعنى الواحد ؛ يدفعهم لهذا التورع ما تمتدح به العربية من ميل إلى الاقتصاد ، وأن حكمة الواضع تأبى الإسراف في استعمال الألفاظ ؛ ما دفعهم إلى القول بأن ثمة مشاركة بين بعض الألفاظ في بعض المعاني ، مشاركةً لا تصل إلى حد التطابق ؛ ما دفع بعضهم إلى البحث في غضون الدلالات للوقوف على المتباينات ، وهو ما عرف في تراثنا اللغوي بـ كتب الفروق . قال تمام حسان : "للألفاظ المفردة أصولها الاشتقاقية ... ولها معانيها المفردة التي تنسب إليها في المعاجم ولها أجراسها التي تولد في النفوس قبولها أو نفورًا منها ، وقد يكون للفظين قدر من الاتفاق في المعنى يصل إلى حد الترادف أو التداخل ، فإذا تداخل المعنى كان من المفيد رصد الفرق بين اللفظين وتخليص معنى كل منهما من معنى الآخر" (حسّان ، ٢٠٠٠ ، ١/ ٣٦٩)

وعادة ما يكون السياق هو الفيصل بين هذه المعاني "ذلك بأن المعنى المفرد ... هو معنى متعدد ومحتمل ومن ثم يفتقر إلى قرينة السياق التي تحدده وقد يفتقر إلى قرينة أخرى غيرها إذا عرض له جناس أو تورية" (حسّان ، ٢٠٠٠ ، ١/ ٣٧٠) وقد مر بنا دور السياق في تحديد دلالة المفردة .

2.3. موارد العدول في اختيار المفردة القرآنية

ينماز تفسير مواهب الرحمن بعناية كبيرة بالمباحث اللغوية والدلالية ؛ فالمؤلف يبدأ تفسير الآية محل البحث ببيان دلالة المفردات ، وتتبع الفروق الدقيقة بين معانيها ، ملتفتًا إلى سياقاتها المختلفة في المعاجم من جهة ، وفي مجمل الخطاب القرآني من جهة أخرى . وقد يكون للمباحث اللغوية دور أكبر في الكشف عن الدلالات العميقة للنص ؛ ما يدفعه لبيان ذلك مفصلا في مباحث خاصة ، يسمى

بعضها بحثًا دلاليًا ، ويسمى بعضًا بحثًا أدبيًا ، كاشفًا عن تحقق المعنى في الألفاظ على نحو مشكك ؛ بمعنى أن للمفهوم مراتب متعددة قد يحمل النص مرتبة منها بحسب تقييد السياق لذلك .

وهذه بعض الموارد التي يتناولها البحث على سبيل المثال لا الحصر ؛ فإن أمثالها كثير في تفسير يقع في أربعة عشر جزءًا ، إلا أننا اخترنا الموارد التي تعد مصداقًا لما تقدم في الإطار النظري للبحث :

١- الحمد والمدح

أوضح السيد السبزواري الوجه في اختيار مفردة الحمد في مستهل السورة المسماة بها " الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ" ؛ وقد أعرب عن دقة التعبير القرآني في انتقاء المفردات بما ينسجم من السياق الحالي المقالي ؛ فإن ذهن المفردات المتقاربة تحضر في ذهن القارئ عند قراءة السورة ، فالحمد والمدح والشكر والتسبيح مفردات يجمعها حقل دلالي واحد ، إلا أنها تفترق بحسب الدلالة الوضعية الأولى فضلاً عن دلالة السياق القرآني ، فالحمد في الآية الكريمة أعم دلالة من الألفاظ الأخرى ؛ فهو الثناء باللسان على الجميل الاختياري . وأما المدح : فهو الثناء باللسان على الجميل ولو لم يكن اختياريا . وأما الشكر : فما أنبأ عن عظمة المنعم بأي صورة كان ؛ فإذ كان السياق معبرًا عن الثناء على الله تعالى بما يستحق ؛ اختار المفردة الأبلغ في الدلالة عن ذلك (السبزواري ، ٢٠١٠ ، 128/1) ، (الأصفهاني ، ١٤٢٧)

٢- رب وملك ومالك

إنما كان اختيار مفردة (رب) في الآية الثانية من سورة الحمد بحسب السيد السبزواري دون سائر الألفاظ التي تقترب من دلالتها كالملك والمالك والصاحب التي ذكرها جمع من اللغويين وتابعهم بعض المفسرين من أنها تؤدي المعنى نفسه إلا أن السيد السبزواري يكشف أن التدبر في استعمال مفردة الرب في التنزيل العزيز يشي بأن الملك شيء والرب شيء آخر فأن لفظ الرب " فيه خصوصية ، ليست هي في المالك والملك والصاحب ، وهي الربوبية الحقيقية ، الناشئة عن الحكمة الكاملة التي لا يتصور النقص فيها بوجه ، فالتكوين شيء ، وتنظيم عالم التكوين بتربيته على النظام الأحسن شيء آخر … فإن الرب مجمع جميع أفعال الله المقدسة ؛ لأن جميع أفعاله تبارك وتعالى متشعبة من جهة تدبيره تعالى وتربيته في كل موجود بحسبه" (السبزواري ، ٢٠١٠ ، 32-31/1)

إن إنعام النظر والتدبر في التعبير القرآني لهو واحد من أهم آليات التفسير فضلاً عن كونه مندوبًا من القرآن نفسه ، فهو إذ يكشف عن دقة اختيار المفردة في سياقها فإنه ينفي الترادف في استعمال الألفاظ في القرآن الكريم وينفي التكرار الذي لا يحمل معنى جديدًا ؛ وهذا من معطيات العناية بالسياق

النصي ، ففي تفسيره الآية الثالثة من سورة الحمد "الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ" يرى السبزواري أن هذين اللفظين وإن تكررا في البسملة على القول بجزئيتها للسورة ، فإن بينها اختلافًا في المراد ، لأنهما في البسملة لوحظا بالعنوان العام ، وفي السورة كان اللحاظ مختلفًا ، وهو منشأ استحقاق رب العالمين للحمد " فهذه الخصوصية توجب الاختلاف في الجملة وبها يرتفع التكرار" (السبزواري ، ٢٠١٠)

وهذا الأمر ينطبق على مفردة (مِلْك) فإنها لم ترد في الذكر الحكيم مع ورود الاشتقاقات الأخرى للمادة نحو (مُلْك ومالك ومليك ومَلِك وملكوت) لأن السياقات التي وردت فيها هذه المفردات تتحدث عن سلطان الله تعالى وغناه ؛ "ولعل عدم وروده في القرآن ، لأنه غالبًا يستعمل في الأمور الزائلة ، وهو تعالى منزه عن إضافة مثله إليه" (السبزواري ، ٢٠١٠ ، 32/1)

ومع ورود قراءة (مَلِك) في قوله تعالى : "مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ" إلا أن السبزواري يرجح قراءة حفص الواردة لدقيق ما تؤديه من الدلالة "لأن المالكية تشمل ملكية الأجزاء والجزئيات ، بخلاف (مَلِك) فإن الملكية هي التسيطر على الكل" (السبزواري ، ٢٠١٠) ، فمن قرأ (مالك) فعلى قوله "لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ" فهو أشبه بقولك من المالك اليوم ، فهو فاعل بمعنى الصفة المشبهة ، كأنه قال : هو الملك وحده اليوم ، ومن قرأ (ملك) فعلى معنى ذو المملكة في يوم الدين. (الزجاج ، ٢٠٠٥ ، 53/1)

٣- العبادة والطاعة والانقياد

وفي سياق تفسير قوله تعالى : " إِيَّاكَ نَعْبُدُ" ذكر السبزواري ثلاث مفردات شائعة في هذا المعنى هي العبادة والطاعة والانقياد ، إلا أن اختيار التعبير القرآني المفردة العبادة يتأتى من ضرورة دلالية يفرضها السياق الذي يحصر العبادة بالله تعالى لأن العقل والنقل اجتمعا على عدم جوازها لغيره سبحانه ؛ فهو الخالق ومفيض الحياة ، وإطلاقها على ما سواه من الاعتقاد الباطل وغير الواقعي ؛ ومن ثم جاء ذكره في الخطاب الكريم بأسلوب إنكاري نحو قوله تعالى : "قالَ أَ تَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ وَ ما تَعْمَلُونَ" فالعبادة "عبارة عن إتيان العمل بقصد التقرب إلى الله تعالى" فإذا جيء بالعمل من دون قصد القربة حصلت الطاعة دون العبادة "فالإطاعة أعم من العبادة ، كما أن الانقياد أعم من كل منهما ، لإطلاقه عليهما وعلى إتيان ما يحتمل أنه محبوب الله تعالى" (السبزواري ، ٢٠١٠ ، 45/1). والملاحظ ثمة أن التعبير القرآني قد يختار لفظًا ذا دلالة عامة لكون السياق يدعو للعموم والشمول ، وقد يصطفي لفظة ذات دلالة على الخصوص لأن السياق يقصد الجزء الدقيق من المعنى كما في المورد الآتي .

٤- الريب والشك

وقائع المؤتمر العلمي اللغة العربية بين التراث والمعاصرة – نيسان – April/2026

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

"الريب : الشك والظنة والتهمة " (ابن منظور ، ١٤١٤ ، 442/1) والريبة "ما تدل على دغل وقلة يقين" إلا أن السبزواري يستدرك على معنى الشك الذي تذكره معاجم اللغة ، إذ يرى أن الريب هو أدنى مراتب الشك ؛ ولعل ما دفعه لذلك هو السياق الذي وردت فيه المفردة القرآنية " ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ" قال السبزواري : "فهو مبرأ من كل عيب وشك ، لأن نفي كل طبيعة يقتضي نفي جميع أفرادها المتصورة في تحقيقها ، فنفي الريب بقول مطلق ، يقتضي نفيه في نظمه وبلاغته ، وفي علومه ومعارفه وتشريعاته ، وجميع الجهات المتصورة في كماله ومعارفه" (السبزواري ، ٢٠١٠ ، 83/1)

٥– التقوى والإيمان

كثيرًا ما يرد ذكر المؤمنين والمتقين في آيات الوصف أو الجزاء لفئة خاصة ، ويتساوى المعنى في ذهن القارئ وربما الحافظ حين يغفل فيتعاقب اللفظان على مورد واحد ؛ ومرد ذلك إلى الغفلة عن الفرق اللطيف بين المفردتين ؛ ومن ثم يستنبط السبزواري دلالة خاصة للتقوى من خلال ورودها في سياق الإيمان فيقول : "التقوى فوق الإيمان بدرجة ، لقوله تعالى : "يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً وَ يُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ" ويستشهد بالعرف فأهل التقوى عند الناس أخص من المؤمنين (السبزواري ، ٢٠١٠ ، 86-85/1)

٦– الإقامة والإيتاء

ورد في الذكر الحكيم في سياق وصف بعض الفئات أنهم يقيمون الصلاة وآخرين يأتون الصلاة ، ومع أن اللفظين غير متشابهين لغةً ، إلا أنهما متقاربان من حيث المعنى في بعض الموارد غير أن السياق القرآني يضيف مزية للمفردة في سياقها الخاص ما يجعلها تباين عن مشابهاتها ، قال السبزواري : "وليس المراد بإقامتها ، مجرد الإتيان بها صورة من قيام وركوع وسجود ، خالية من روح العبادة ، والتوجه إليه تعالى ، وإلا فهو مضيع لها ... ولأجل ذلك لم يستعمل لفظ الإتيان بالصلاة في القرآن العظيم إلا مقرونًا بالذم غالبًا كقوله تعالى : "وَ لا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَ هُمْ كُسالى وَ لا يُنْفِقُونَ إِلاَّ وَ هُمْ كارِهُونَ" (السبزواري ، ٢٠١٠ ، 1/ 92- 93)

٧– الإنفاق والإعطاء

ورد في التنزيل الحكيم فعل الإنفاق والإعطاء ماضيًا ومضارعًا (أنفق ، ينفق) و (أعطى ، يعطي) مسندًا إلى المفرد مرة وإلى الجمع ، وأكثر مجيئه مسند إلى المجموع ، الإنفاق يستلزم عطاء وليس العكس ؛ ما يعني أن الأصل الإعطاء ، فهو أعم من الإنفاق ؛ فالأخير عطاء خاص ، فهو "الإعطاء المغرب إليه شرعًا والممدوح عقلاً " (السبزواري ،٢٠١٠ ، 94/1) فهو ذو ارتباط بعالم الغيبيات ؛ فإن

الذي ينفق يعتقد أن ما يملك هو من الله تعالى ، فهو يخرجه ابتغاء رضوان الله ؛ ومن هنا كان الإنفاق من صفات المتقين كما في قوله تعالى " الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ" ، أما الإعطاء فلا يستلزم التقرب ضرورة ، ومن هنا فإن القرآن الكريم إذا ما ذكر الإعطاء بقصد القربة ذكرها نحو قوله تعالى : "فَأَمَّا مَنْ أَعْطى وَ اتَّقى"

ومما يشبه ما نحن بسبيل منه ما ذكره في تفسير قوله تعالى : "وَ آتُوا الْيَتامى أَمْوالَهُمْ" إذ عدل التعبير عن "مثل اعطوا أو ارجعوا ، لأن الإيتاء هو إعطاء خاص لا مطلق الإعطاء" (السبزواري ، ٢٠١٠ ، 94/1)

٨- التلاوة والقراءة

جاء فعل التلاوة والقراءة واقعًا على القرآن بوصفه لفظًا مقروءًا ، إلا أن ورود المفردتين على القرآن نفسه لا يعني تطابقهما في الدلالة ، ولا سيما إذا لاحظنا السياق الذي يحيط بكلا المفردتين . فقد جاءت مفردة القراءة منسوبة إلى النبي الأكرم واقعة على لفظ الكتاب العزيز في موارد قليلة ؛ نحو قوله تعالى : "فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ" وقوله : "وَ إِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجاباً مَسْتُوراً"

وجاءت التلاوة في موارد عديدة مسندة إلى النبي الأعظم وواقعة على لفظ الكتاب العزيز ؛ نحو قوله تعالى : "رَبَّنا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" وقوله : "كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِنا وَ يُزَكِّيكُمْ وَ يُعَلِّمُكُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُعَلِّمُكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ" وقوله : "لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ" ونحوها .

إن ملاحظة السياق لتشي بأن للتلاوة فضل على القراءة ؛ فقد جاءت في سياقات المدح والثناء والمنّة ؛ ومن ثم أشار السبزواري تبعًا لجمع من المفسرين واللغويين إلى أن "في لفظ التلاوة خصوصية ليست في مطلق القراءة ، فإنها القراءة التي يتبعها الفهم والتدبر" (السبزواري ، ٢٠١٠ ، 2/ 48-49)

٩- الخوف والخشية

وردت مفردتا الخوف والخشية في موارد كثيرة من القرآن الكريم ، نحو قوله تعالى : "ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَهِيَ كَالْحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَ إِنَّ مِنَ الْحِجارَةِ لَما يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهارُ وَ إِنَّ مِنْها لَما يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْماءُ وَ إِنَّ مِنْها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ" وقوله: "وَ مِنَ النَّاسِ

وَ الدَّوَابِّ وَ الْأَنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ كَذلِكَ إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ " وقوله : "إِنَّما تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَ خَشِيَ الرَّحْمنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَ أَجْرٍ كَرِيمٍ" وقوله : "لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" ونحو ذلك

إلا أن استعمال مفردة الخشية في سياقاتها المتعددة يكشف عن مفارقتها الدقيقة للخوف فهي بحسب السبزواري "أعم منه موردًا ، لإطلاقها على الجمادات أيضًا ، وأخص منه مفهومًا ، لأنها الخوف المشوب بالتعظيم ، بخلاف مطلق الخوف" (السبزواري ، ٢٠١٠ ، 1/ 398)

١٠- البعث والإرسال

يتناول السبزواري الوجه في اختيار التعبير القرآني مفردة البعث بدل الإرسال في سياق الحديث عن تبليغ الأنبياء رسالاتهم نحو قوله تعالى : " كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ" وغيرها

"الباء والعين والثاء أصلٌ واحد، وهو الإثارة. ويقال بعثْتُ النّاقةَ إذا أثَرْتَها" (معجم مقاييس اللغة ،١٩٧٢، ٢٦٦/١)

قال السبزواري معللاً : "وإنما عبر سبحانه وتعالى بالبعث دون الإرسال ، لأن حال الإنسان في هذا الدور من حياته على الأرض كانت حال خمودٍ وخمول ، لا يقصد إلا البقاء والاستفادة من وسائل الحياة ، فكان الأنسب أن يبعثُ الله النبيين ليثيروا لهم الدفائن التي أودعها الله تعالى في عقل الإنسان" (السبزواري ، ٢٠١٠ ، ٢٨٢/٣)

١١- أكثر وأكبر

"الكاف والثاء والراء أصل صحيح يدل على خلاف القلة ، من ذلك الشيء الكثير" (معجم مقاييس اللغة ، ١٩٧٢ ، ١٦٠/٥) أما الكاف والباء والراء فهو أصل صحيح يدل على خلاف الصغر ؛ فالكثرة للمعدود والكبر للحجم ، ولما كانت المنافع معدودة وكذلك المضار فالأوفق أن يستعمل معهما لفظا الكثرة والقلة ؛ فنقول : هذا الطعام منافعه كثيرة ومضاره قليلة أو نفعه كثير وضره قليل .

لكن التعبير القرآني استعمل مفردة (كبير وأكبر دون كثير وأكثر) في هذا المعنى ، في قوله تعالى : "يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ وَ إِثْمُهُما أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما وَ يَسْئَلُونَكَ ما ذا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ"

إن إنعام النظر في السياق القرآني عامة وسياق آية الخمر والميسر خاصة يكشف عن أن الوصف بالكبر لا يقصد به الإخبار عن الكثرة مقابل القلة ، بل الغرض بيان عظيم الأثر الذي يتركه الخمر والميسر ، علمًا أن التعبير القرآني قد استعمل مفردة كثير خمس عشرة مرة كلها تدل على النسبية العددية التي تنماز بالكثرة بالقياس لغيرها ؛ ومن ثم نجد هذا الوصف متعلِّقًا لـ من التبعيضية بعده نحو : (كثير من أهل الكتاب ، ربيون كثير ، كثير من نجواهم ، كثير منهم ، كثير ممن خلقنا ، كثير من الناس ...)

واستعمل مفردة كبير خمس وأربعين مرة وصفًا لعظمة الموصوف نحو : (قتالٌ فيه كبير ، إثم كبير ، حوبًا كبيرًا ، فسادٌ كبيرٌ ، عذابَ يومٍ كبير ، لتعلُنَّ علوًا كبيرًا ...

وتأسيسًا على معطيات السياق يعلل السبزواري استعمال مفردة أكبر بدل أكثر ، إذ يقول : " وإنما وصف سبحانه الإثم بالكبر دون الكثرة ، لبيان عظمة الإثم والعقاب ، حتى كأن النفع في مقابله يكون معدومًا ، ولذا أفرده عز وجل ولم يقل من منافعهما ، لأن العدد لا تأثير له في الكبر" (السبزواري ، ٢٠١٠ ، ٣/٣٤٥)

١٢- أنباء وأخبار

وردت كلتا المفردتين في التعبير القرآني ، وإن كانت مفردة الإخبار أقل ورودًا بكثير بالإضافة إلى أختها ؛ فقد جاء (الخبر) مفردًا في سياق قصة موسى عليه السلام في الآية السابعة من سورة النمل"إِذْ قالَ مُوسى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ ناراً سَآتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ" ومثلها في القصة نفسها في الآية التاسعة والعشرين من سورة القصص. أما (أخبار) جمعًا فورد في ثلاثة موارد اثنان منها في سياق بيان أعمال الذين كانوا بمعية النبي في القتال ؛ الأولى قوله تعالى : "يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبارِكُمْ وَ سَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" والثانية قوله تعالى : "وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَ الصَّابِرِينَ وَ نَبْلُوَا أَخْبارَكُمْ" والأخبار ثمة تعني الأعمال بحسب الطباطبائي في الميزان . أما المورد الأخير فهو ما ورد في سورة الزلزلة من قوله سبحانه : "يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها" .

أما النبأ فكل ما أخبر به الله تعالى نبيه من شأن الأمم الساقة فقد سماه نبأً والفعل الإنباء "والإنباء جمع نبأ ، كالإخبار جمع خبر ، ولكن النبأ أخص من مطلق الخبر ذي الفائدة العظيمة ، والخبر أعم منه ، وقد يطلق على مطلق الخبر مع القرينة ، ويمكن أن يستفاد من موارد الاستعمالات القرآنية أن

النبأ يستعمل غالبًا في الموارد التي تستفاد فائدة الخبر من ناحية العلة ، والخبر بالعكس" (السبزواري ، ٢٠١٠، ٣٣٦/٥) ومن ثم كان السياق القرآني حاكمًا في انتقاء اللفظ الأمثل للتعبير عن الدلالة المثلى.

١٣- أحسَّ وعلِم

ذكرت هذه الألفاظ في غير مورد من الذكر الحكيم ، والفارق بينها ؛ أن العلم ـ وهو أكثرها ورودًا ـ متعلق بصفة الشيء وحكمه وبالكليات ، أما المعرفة فتتعلق بالجزئيات وبالذات ، فمعنى علمت زيدًا قائمًا علمت اتصافه بالقيام . ومعنى عرفته أي عرفت ذاته. فالعلم يتعلق بالصفات والمعرفة ذات تعلق بالذوات والجزئيات (الخضري ، 153/1) وهذه الدلالة أقرب للحكم على الأمور المعنوية أو الحديث عنها ، إلا أننا نجد التعبير القرآني يستعمل لفظًا آخر كما في قوله تعالى : " فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قالَ مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ قالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ اشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ" حيث جاءت مفردة (أحسَّ) لتعبر عن العلم بهذه الصفة المعنوية التي لحقت بني إسرائيل ، مع أن مادة هذه المفردة تدل على إدراك الشيء بالحواس (الأصفهاني ، 1427 ، 232) ، وإذا تابعنا الزجاج (ت311هـ) في أن "معنى أحسَّ في اللغة : علم ووجد" (الزجاج ، 2005 ، 350/1) فإننا لمَّا ندرك الغرض من عدول التعبير القرآني عن الألفاظ مثل علم ووجد وعرف إلى مفردة أحسَّ ؛ إلا أن السبزواري يحتكم إلى دور السياق الكاشف عن دقة اختيار المفردة في مكانها المناسب قال : " وإنما عبر سبحانه وتعالى بـ (أحسَّ) مع أن الكفر من الأمور المعنوية ، لبيان أن كفرهم بلغ مبلغًا حتى تعلقت به الحواس الظاهرة" (السبزواري ، 2010 ، 5/ 377) فحيث إن الآيات تتحدث عما لقيه عيسى من قومه مكرًا وعنادًا ولجاجًا ، استنصر عليهم خلص أصحابه ؛ وإنما بلغ به الأمر ما بلغ لأنه لمس منهم الأذى ، لا أنه استشرف وقوعه ؛ ومن ثم كانت الآيات تسلية للنبي الأعظم مما يجده من قومه.

العدول في اختيار المفردة القرآنية بين السبزواري الطباطبائي والرازي

لم تكن العناية بدلالة اختيار المفردة القرآنية منحصرة بتفسير مواهب الرحمن بل كانت إحدى وسائل تفسير النص القرآني الكريم .

وإذا ما رأينا انطلاق السبزواري من الدلالة اللغوية للمفردات وإظهار معناها بلحاظ السياق الذي وردت فيه ؛ فإن مفسرين آخرين يقتربان منه من حيث التكوين المعرفي : الأول هو : الطباطبائي الذي يعد من أبرز مفسري الشيعة المعاصرين إن لم يكن أبرزهم على الإطلاق ، فقد كان تفسيره الميزان يتبنى منهجية تعتمد تفسير القرآن بالقرآن ؛ محكّمًا فضاء النص القرآني ، ثم جو السورة ، ثم سياق

الآية لإعطاء الدلالة التفسيرية المناسبة ، وإن لم يكن غافلا عن الآليات التفسيرية الأخرى ، والآخر هو : الفخر الرازي الذي يعد علمًا من أعلام التفسير ، فقد اصطبغ تفسيره بالنزعة العقدية ؛ إذ دافع فيه عن عقيدة الأشاعرة متوسلًا بالآليات التفسيرية التي تعزز من دفاعه ، ولا سيما المباحث البلاغية واللغوية.

فإذا كان السبزواري مع العدول في المفردة القرآنية بوصفه ظاهرة بلاغية لغوية تتجلى في الدقة البيانية للقرآن، ويستند إلى الفروق المعجمية والنحوية ومناسبات السياق. فإن الطباطبائي يفسر اختيار اللفظة من خلال اندماجها في البنية المفهومية للقرآن، ويربطها بالهدف العقدي أو التشريعي للآية، دون توسع في الفروق المعجمية. وهكذا فعدول السبزواري لغوي–بلاغي، وعدول الطباطبائي دلالي–مفهومي.

وأما الرازي فيُبرز الفرق بين المفردات ويجعله مدخلًا للبحث البلاغي والكلامي. إذ يربط العدول بـ الحكمة الإلهية والمقاصد العليا للخطاب. فيكثر من تعدد الوجوه، ويعطي المعنى أكثر من احتمال. ومن هنا ؛ عدَّ العدول دليلًا على الإعجاز البلاغي، لا مجرد تنوّع في الأسلوب.

النتائج

خلص البحث إلى النتائج الآتية:

أن تفسير مواهب الرحمن للسيد عبد الأعلى السبزواري يحمل نظرة تفسيرية ذات رؤىً جديدة تستند إلى آليات البيان العربي ولا سيما الآليات اللغوية.

تساهم المفردة في تشكيل السياق ، وهو يسهم في تخلق معناها ؛ ومن ثم كانت العناية بهما ضرورة تفسيرية.

يتحرى السبزواري إظهار الدقة البيانية في التعبير القرآني ؛ إثباتًا لإعجازه .

يسهم البحث عن الفروق اللغوية بين المفردات في تعزيز مقولة انفتاح النص القرآني وتعدد قراءاته

كان أثر التفكير الفقهي والأصولي باديًا في معالجة السبزواري للنص القرآني ؛ ولا سيما ما يتعلق في الوقوف على العنى الدقيق للمفردة .

ثمة تشابه في معالجات المفسرين (السبزواري والطباطبائي والرازي) للمفردة القرآنية ، بما ينسجم والمنهاجية المتبعة لكل منهم ، فالسبزواري أعنى من الآخرين بالجانب اللغوي البلاغي للمفردة

المصادر

القرآن الكريم

[1] ابن الأثير، ضياء الدين. (1420هـ). *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر* (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد). بيروت: المكتبة العصرية.

[2] ابن جني، عثمان. (1385هـ). *الخصائص* (تحقيق محمد علي النجار). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

[3] ابن فارس، أحمد. *(1972).* *معجم مقاييس اللغة* (تحقيق محمد عبد السلام هارون). بيروت: دار الفكر.

[4] ابن منظور، محمد بن مكرم. (1414هـ). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

[5] الأصفهاني، الراغب. (1427هـ). *مفردات ألفاظ القرآن* (تحقيق صفوان عدنان داوودي). قم: طليعة النور.

[6] الجرجاني، عبد القاهر. *(2001).* *دلائل الإعجاز* (تحقيق عبد الحميد هنداوي). بيروت: دار الكتب العلمية.

[7] الجعفري، محمد. *(2001).* *أعلام الفكر الشيعي في القرن الرابع عشر الهجري*. بيروت: دار التعارف.

[8] الحسيني، محمد جواد. (2012). المنهج التحليلي في التفسير الشيعي المعاصر: دراسة مقارنة بين الطباطبائي والسبزواري. *مجلة الدراسات الإسلامية، 18(2)، 45–78.*

[9] الخضري. (د.ت). *حاشية الخضري على شرح ابن عقيل*. القاهرة: دار إحياء الكتب العلمية.

[10] الخوئي، أبو القاسم. *(1992).* *معجم رجال الفكر الشيعي المعاصر*. قم: مؤسسة النشر الإسلامي.

[11] دراز، محمد عبد الله. (1427هـ). *النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن*. القاهرة: دار الفقه للطباعة والنشر.

[12] رزق، صلاح. *(2002).* *أدبية النص: محاولة لتأسيس منهج نقدي عربي*. القاهرة: دار غريب.

[13] الزجاج، أبو إسحاق. *(2005).* *معاني القرآن وإعرابه* (تحقيق عبد الجليل عبده شلبي). القاهرة: دار الحديث.

[14] الزمخشري، محمود. (د.ت). *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*

(تحقيق عبد الرزاق المهدي). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

[15] السبزواري، عبد الأعلى .*(2010) .مواهب الرحمن في تفسير القرآن* .قم: دار التفسير.

[16] طبانة، بدوي .*(1997) .معجم البلاغة العربية* .بيروت: دار ابن حزم.

[17] العاملي، حسن .*(2018) .التحليل اللغوي والبلاغي في التفاسير الشيعية الحديثة* .بيروت: مركز دراسات الوحدة الإسلامية.

[18] عبد المطلب، محمد .*(1997) .البلاغة العربية: قراءة أخرى* .القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر (لونجمان).

[19] المجلسي، حسن .*(1995) .تاريخ الحوزة العلمية في النجف الأشرف* .قم: دار المرتضى.

[20] الموسوي، مرتضى .*(2020) .الدلالة والسياق في التفسير التحليلي المعاصر* .النجف: دار الغري العلمية.